

المظاهر الفنية في رواية سكاكر البرجس للقاص سالم صالح سلطان

م.م. فنار خليل مجيد الحامد
المديرية العامة لتربية نينوى

تاريخ تسليم البحث: ٢٠٢٠/٨/١١ ؛ تاريخ قبول النشر: ٢٠٢٠/١٠/٢٥

الملخص:

يُعد الأدب وسيلة من الوسائل التي يستخدمها الإنسان للتعبير عما يجول في خاطره من أفكار ومشاعر وفسحة روحية يلجأ إليها بحثاً عن تجارب تحاكي تجاربه الحياتية ، وقد يختلف أسلوب الأدب باختلاف الفن الذي يلجأ إليه الأديب للتعبير عن أفكاره ومشاعره تجاه المواقف الحياتية التي يتعرض لها ، ولكل فن في الأدب العربي عناصر ومقومات يركز عليها ويتشكل في مجموعها هذا الفن ، وتعد الرواية من الفنون التي تحتوي على عديد من العناصر التي من دونها تفقد الرواية قيمتها وقدرتها على إيصال الأفكار .

وتُعد رواية (سكاكر البرجس) للكاتب سالم صالح سلطان من الروايات الموصلية التي تزخر بعديد من المظاهر الفنية المتماسكة ومنها (الوصف والحوار والشخصية) مما جعل منها ميداناً واسعاً للبحث الممتع والدقيق .

وقد جعل الكاتب من مدينة (الموصل) مكاناً لأحداث روايته، وجعل من الحرب التي شهدتها العراق بعد عام (٢٠٠٣) زمناً لسير هذه الاحداث، فقدّم في أثناء روايته نتائج هذه الحرب وانعكاساتها على مدينة الموصل وعلى سكانها من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية كافة وذلك بعناصر الرواية المختلفة ولاسيما الشخصيات التي كانت في معظمها بسيطة من الناحية الاجتماعية والثقافية.

Artistic appearances in the novel Al-Barjas Candies Written by Salim Salih Sultan

Asst.Lect. Fanar Khalil Majeed Al-Hameed

Ministry of Education/ Directorate General of Education Nineveh/ Research and Studies Division

Abstract:

Literature is one of the means that a person uses to express what he has in mind, including thoughts, feelings, and a spiritual space that he uses in search of experiences that mimic his life experiences. In Arab literature there are elements and components that underpin and in its entirety this art, and the novel is formed from the arts that contain many elements without which the novel loses its value and its ability to communicate ideas.

The novel (Candies of Burgess) by Salem Saleh Sultan is one of the conductive narratives that abounds in many coherent artistic aspects, including (description, dialogue, and personality), and this has made it a wide field for interesting and accurate research.

The writer has made the city of (Mosul) a place for the events of his novel, and made the war that Iraq witnessed after the year (2003) a time for the conduct of these events. The various elements of the novel, especially the characters, were mostly simple socially and culturally.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في التعرف على بعض المظاهر الفنية التي بدت في رواية سكاكر البرجس للكاتب سالم صالح سلطان.

هدف البحث :

هو بيان بعض المظاهر الفنية وعرضها في الرواية .

أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في إبراز المظاهر الفنية البارزة في الرواية والتي تتمثل بالوصف والحوار

والشخصيات .

هيكلية البحث:

المقدمة

المبحث الاول :

الوصف

الوصف لغةً واصطلاحاً

الوصف الداخلي للمكان .

الوصف الخارجي للمكان .

المبحث الثاني : الحوار

الحوار لغةً واصطلاحاً .

دور الحوار في الرواية .

المبحث الثالث : الشخصيات

الشخصيات لغةً واصطلاحاً .

أنواع الشخصيات

١. الشخصيات الرئيسية .

٢. الشخصيات الثانوية .

٣. الشخصيات الهامشية .

الخاتمة

مكتبة البحث

المقدمة :

أصبحت الرواية في الأدب العربي الحديث جنساً أدبياً مهماً، وانتشرت فيه الرواية إنتشاراً واسعاً ومهماً أبان القرن العشرين؛ كونها تطرح القضايا كافة التي يشهدها الوطن العربي بطريقة فنية تعالج فيها الاشكاليات الفكرية والنفسية لأبناء هذا الوطن، ولذا حظيت الرواية باهتمام الاكاديميين في السنوات الأخيرة، واهتمت نظريات السرد الحديثة بدراسة عناصر الرواية من كافة جوانبها كافة بما فيها الوصف والحوار والشخصيات موضوعات بحثنا هذا.

وجاء إختيارنا لرواية (سكاكر البرجس) للكاتب سالم صالح سلطان^(١) موضوعاً للبحث نظراً لما حَفَلت به هذه الرواية من مظاهر فنية عديدة جعلت منها تعبيراً عن حالة كشفٍ للنواحي السياسية والثقافية والاجتماعية في ظل المرحلة العصبية التي مرّت بها الامة العربية ولا سيما مدينة الموصل، وسيتم التركيز على مظاهر بعينها لتتجسّد بثلاثة جوانب فنية هي: الوصف والحوار والشخصيات .
أمّا ما يخص منهج البحث، فقد اعتمد على الرواية بوصفها مصدراً أساساً وتحليل النصوص الواردة فيها، وقد سعينا الى الإفادة من الدراسات المنشورة على الانترنت مع بعض البحوث المنشورة وأسس المنهج النفسي في تعزيز الجانب التحليلي للنصوص والشخصيات ومحاولة الربط بينها وبين ما تدل عليه.

المبحث الاول : الوصف

الوصف لغةً واصطلاحاً : قبل التعريف بمظاهر الوصف في رواية (سكاكر البرجس) للقاص سالم صالح سلطان لابد من تقديم نبذة مختصرة عن مفهوم الوصف لغةً واصطلاحاً .
فالوصف لغةً : هو ((وصف الشيء له وعليه وصفاً وصِفَةً: حَلَاهُ، وقيل : الوصف المصدر بحليته ونعته، وتواصفوا الشيء من الوصف))^(٢). أمّا الوصف اصطلاحاً: فهو ((نظاماً أو نسقاً من الرموز والقواعد يستعمل لتمثيل العمارات وتصوير الشخصيات، أي مجموع العمليات التي يقوم بها المؤلف لتأسيس رؤيته الفنية))^(٣).

لذا فللوصف أهمية كبيرة في العمل الروائي وتبرز أهميته في علاقته ببقية عناصر الرواية، ويستطيع الروائي عن طريق الوصف أن يقدم للقارئ كل ما يحتاجه من معلومات لتصبح الرواية واضحة ومفهومة لديه .

(١) يُعد الروائي سالم صالح سلطان من الشخصيات الأدبية التي لها مكانة مرموقة و متميزة في الرواية الموصلية، إذ وُلِدَ عام ١٩٦٤م، ويُعد عضواً في رابطة منتديات وإتحادات أدبية عراقية وموصلية، نال جوائز قطرية عديدة وكرم بدرع الابداع من من مركز دراسات الموصل عام ٢٠١٩م، له عدة مؤلفات قصصية منها: (الاسوار البعيدة ٢٠٠١م) و(تسابيح الخيول ٢٠٠٩م) و(أوثان لزجة ٢٠١٨م) و(قريقان ٢٠٢٠م).

(٢) معجم لسان العرب إبن منظور/ مادة (وَصَفَ)، ٣٤٦/١٥.

(٣) ضحك كالبكاء/ ادريس الناقوري/ ٢١٧ .

إذن يعمل الوصف في الرواية على ((تفسير الرواية برمتها أو يعمل على تفسير شخصية معينة من خلال سماتها المميزة وتحديد البيئة المؤطرة لها))^(١) لذا ما ظهر واضحاً في رواية سكاكر البرجس لاسيما فيما يتعلق بوصف المكان لأن الرواية تدور أحداثها في معظم الاماكن من مدينة الموصل، ويتجلى وصف المكان في رواية سكاكر البرجس في وجود أوصاف لأماكن داخل مدينة الموصل (مركز المدينة) وأوصاف لأمكنة خارجية من أفضية ونواحي، مما سنعتمده هنا في وصف الامكنة وسوف نقتصر على ذكر الأهم والأشهر والأكثر وروداً من هذه الامكنة في الرواية ؛ لوجود عديد من هذه الأوصاف فيها كما أشرنا سابقاً .

١- الوصف الداخلي للمكان :

لعلّ أولى المعالم التي تبرز في الوصف الداخلي للمكان ما جاء في الفصل الاول من الرواية والمعنون (ناسك الالواح) في ذكر منارة الحدباء، اذ أتى وصف الروائي لها مقترناً بماضيها العتيق ودرجة ميلانها التي تزداد يوماً بعد يوم بفعل الريح، فقد جاء الوصف بصيغة عالية الدقة وقوية الاسلوب ومجسّدة بعبارة ((وتبرز منارة الحدباء وهي تتعزز على ريح هوجاء أكست السماء برمادية قاتمة منذرة باللويل والثبور وخنعت بعدها المدينة لعريدة العواصف والزلازل))^(٢).

يدل هذا الكلام دلالة على فعل أو تأثير الجانب البيئي أو المناخي على ميل هذه المنارة الذي يعكس روح التآلف والمحبة بين أهالي المدينة.

هنا ((يحمل المكان في طياته قيماً تنتج من التنظيم المعماري ، كما تنتج من التوظيف الاجتماعي فيفرض كل مكان سلوكاً خاصاً على الناس الذين يلجون إليه))^(٣) مما يطابق ما جاء على لسان الروائي بإتكاء المنارة على الجسر الحديدي القريب من باشطابيا، اذ يذكر الكاتب مكانين آخرين هما جسر الموصل القديم (الجسر الحديدي) و(قلعة باشطابيا) القلعة الموصلية الشهيرة التي تصدّت لعديد من الغزوات على مرّ التاريخ لمدينة الموصل، ومما أكدّه الروائي بقوله ((تلاطمت مياه النهر لتبلغ ضفتيه موجات هائجة عندما تهاوى الجسر الحديدي كحيوان أسطوري يشهد الكون نهايته الأخيرة، وبعد قرون من الصمود في وجه الغزوات تداعت قلعة باشطابيا وتناثرت أحجارها كطيور السنونو المهاجرة الى الشمال))^(٤).

اذ يدل النص السابق على التلاحم والتآزر شبه الروائي إتكاء المنارة على جدران القلعة المطلّة على الجسر الحديدي؛ وتجسد هذه العناصر الثلاثة بإجتماعها لنا وحدة المكان الخاص بالمدينة الذي يعكس لنا تلاحم (اهالي المدينة القديمة) في الوقوف ضد أي شخص غريب أو أي شخص يحاول

(١) قضايا الرواية الحديثة/ جان ريكاردو/ ترجمة: صياح الجهيم/ ٩٧ .

(٢) رواية سكاكر البرجس/ سالم صالح سلطان/ ٦ .

(٣) البناء الفني في الرواية العربية في العراق (الوصف وبناء المكان)، د. شجاع مسلم العاني ١٠٢ .

(٤) الرواية ٦-٧ .

المساس بها، لذا تكون بين الانسان والمكان الذي يتواجد فيه علاقة متبادلة يؤثر كل طرف فيهما على الآخر.

وقد ذكر الروائي نوعاً آخر من المكان الداخلي، وهو مكان تشعر فيه الشخصية الرئيسية في الرواية وهي شخصية البطل (عبد برجس) بالكراهية والنفور وعدم الاحساس بالراحة عند المرور منه وهو (شارع النجفي) الذي يرتبط بموقف وحادثة وذكريات سلبية ومؤلمة بالنسبة له؛ فهو يصف الشارع بأنه دائم الازدحام بالصبية وصباعي الأحذية وغيرهم من الاشخاص الذين كانوا يعبرون عن إستيائهم وكرههم له من خلال رميه بالحجارة والفواكه العفنة ((كان عبد برجس يتجنب الدخول الى شارع النجفي فالصبية وصبغو الأحذية يقذفونه بالحجارة والفواكه العفنة، يدفعهم الى ذلك أناس يرونه تشويها لمعالم الدين البعيد عن الخرافة والبدع))^(١)، فالإحساس بالراحة و((الألفة لا تتم بين الانسان والمكان المجرد، بل تنجم هذه الألفة عن البشر الذين يقطنون المكان))^(٢).

وكان يتم بيع عبد برجس لسكاكره بتجواله في شوارع المدينة القديمة، وهو أمر عادي يوحي بقيمة هذه الشوارع بوصفها جزءاً من التكوين الداخلي لمدينة الموصل، فضلاً عن انها تشكل مسارات متقاطعة ومتعامدة تمثل طريقاً للذهاب والآتي الى داره أو محل عمله.

ولوجود ذكر عديد من الأمكنة في الرواية، نجد الروائي يعمد الى ذكر مكان آخر هو تل النبي يونس (عليه السلام) الذي له صدى عند عبد برجس ؛ فهو يذكره بالقيمة الدينية لما له من تأثير كبير على سلوكه الديني الذي طغى عليه لاحقاً، ويعد المكان بالنسبة للإنسان إمتداداً حقيقياً له، فعندما نصّف المكان فإننا من خلاله نصّف معه الانسان، فعبد برجس كان مريداً في مرقد النبي يونس (عليه السلام) عندما كان صبيّاً وقد ظلّ متعلقاً بهذا المكان حتى في كبره، لقد الروائي الى ذكر هذا المكان في أكثر من موضع في الرواية، من ذلك وصفه له بقوله: ((الشمس ما زالت متجبّره على جبهته الخالية جموع من الصاعدين تتسلق تل التوبة يسرون بصمت وخشوع فرادى وجماعات كأنهم ليسوا من ملأ الأسواق صخباً ولهاثاً، امتلأت بهم باحة جامع النبي يونس في تل التوبة انتشروا على التل، مكان لعبهم يضج بدبكاتهم العربية والكردية في الاعياد كأنه برج يطل على المدينة، فتبدوا بنيانها وبساتينها خضراء ونهرها يمتد بزرقته، لكنه اليوم مثقل بهلهم))^(٣).

٢- الوصف الخارجي للمكان :

نجد في خضم كلام الروائي وصفاً عاماً للمكان المرتبط بما هو خارج المدينة ونقصد به الأقضية والنواحي، وأول نص يعترضنا هنا هو نص عام لم يحدده الروائي بأسماء، اذ جاء مترامناً مع

(١) م.ن ٣٠ .

(٢) البناء الفني في الرواية العربية في العراق (الوصف وبناء المكان) ١٠٢ .

(٣) الرواية ١١٨-١١٩ .

وصف المناخ الطبيعي الذي يشكل أحد الفصول التي تمر على مدينة الموصل حتى أنها أخذت أحد أسمائها منه وهو (ام الربيعين)، فربط الروائي صباح الموصل الربيعي وتمازج هواءه بإقباله على أفضيتها ونواحيها، لذا نجد دلالة مهمة وهي أن الروائي كان له ميل تجاه أهل الريف بصورة إيجابية بقوله ((تدل خطواتهم الواثقة على وفرة نشاط وحيوية أهل الريف، وتنبئ نبرة أصواتهم العالية بفسحة فضائهم، وإنفتاح محيطهم على الحقول والمراعي))^(١).

ومن الأمكنة الخارجية الأخرى التي ورد ذكرها أكثر من مرة في هذه الرواية هي (قضاء سنجار) وقد كان لهذا المكان أثر في المكونات الداخلية لشخصية من شخصيات الرواية وأحد سكان هذا المكان وهو- يزدان- الشاب الأيزيدي الذي أحب فتاة أيزيدية من سكان القضاء نفسه وقوبل بالرفض من أهلها مما اضطره الى خطفها فأصبح لزاماً عليه الهروب من هذا المكان لأنه أصبح مطلوباً لدى اهله، لذا يخلق فأصبح هذا المكان إيقاعاً نفسياً صاخباً وإحساساً بالألم العميق عند هذه الشخصية كلما مرّ ذكر المكان أمامه أو إستعاد ذكره مع إحدى الشخصيات الروائية بكل ما فيه من جبال وعيون ماء وأشجار وغيرها كان له أثر في زيادة الاحساس بالغربة عند يزدان.

فالإمتزاج بين الطبيعة والإنسان يجعله يتأثر بأجوائها فتتغير أحاسيسه ومشاعره لذا لا يكون المكان في هذه الحالة مساحة يشغلها فحسب، بل هو حالة نفسية يعيشها ويتأثر بها، وقد عبّر الروائي عن ذلك في روايته بقوله: ((كانت سنجار على مرمى البصر تهتف للفتى المشتت يمد يديه اليها لكنهما كانتا خائرتين. الآلف من أشجار الزيتون تصطف وتمر تباعاً من أمامه مهرولة مذعورة...تؤرقه احلامه المتعثرة بين صخور جبلها القاسي))^(٢).

لذا إستطاع الروائي أن يصف الإحساس بالطبيعة ووصف مظاهرها وتأثيرها في أبطال الرواية ؛ فجعل من البيئة الطبيعية جزءاً اساساً من المكان، ويعد في الوقت نفسه جزءاً اساساً في الكشف عن تأثيرها في الشخصيات وليس لمجرد الوصف فقط.

المبحث الثاني: الحوار

الحوار لغةً واصطلاحاً:

قبل الحديث عن الحوار ولغته في رواية (سكاكر البرجس) لابد من معرفة معنى الحوار لغةً واصطلاحاً كما ورد في بعض المراجع اللغوية والادبية التي عُنيت بدراسة الرواية.

(١) م. ن. ٨ .

(٢) الرواية/ ٩٩ .

فالحوار لغةً: من حاور يُحاور محاورَةً، وقد ورد أنّ الحوار يعني تراجُع الكلام، كما ورد في لسان العرب لابن منظور^(١). وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام، ومن معاني الجذر اللغوي (حَوَرَ) ما يفيد الحيرة من (حار) بدلالة حيراء لم يهتد لسبيله، فهو حيران وحائر وهي حيراء^(٢).
 أمّا الحوار في الاصطلاح: فهو نشاط عقلي ولفظي يُقدم المتحاورون الأدلة والحجج والبراهين التي تبررُ وجهات نظرهم بحرية تامة للوصول الى حل لمشكلة أو توضيح لقضية ما.

دور الحوار في الرواية .

يُعد الحوار في النص أو العمل الادبي ((جدارية يستند اليها العمل وينطق عبرها الشخص بـكل مفردات الحب والتألق المخزون داخل مكونات القضية وحكاية النفس الإنسانية))^(٣).
 لذا فالحوار وسيلة من الوسائل المهمة التي يستخدمها الروائي في الكشف عن طبيعة الشخصيات من النواحي النفسية والاجتماعية والمادية كافة؛ لمعرفة سلوك هذه الشخصيات من جهة ولمعرفة الاسباب التي دفعتها الى هذا السلوك من جهة أخرى.

وهذا ما نجده واضحاً في رواية (سكاكر البرجس) فقد جعل الروائي من لغة الحوار ((أداة التواصل الحقيقية مع القارئ لأنها تحمل دلالة للأفكار التي تعبر عن الشخصيات ويخرج السارد من الصورة لتقوم الشخصيات بتقديم نفسها))^(٤). ففي حوارٍ دار بين عبد برجس وبين مردانة- راعيته- يقول ((الامر فوق طاقتي، أرى العالم يفرق في خطاياها، ولا أستطيع انقاذه إنّ هذا عذابٌ لي ، لا أريد ان أنسى العالم لساعة واحدة، أو أستحم بماء دافئ في شتاء متجمد تمتد سكاكينه من قدمي الحافيتين، وصولاً الى رأسي المنكشف دوماً للريح والشمس والامطار. ولا أذكر متى شبت ونمت ولا أذكر يوماً هدأت الهواجس في رأسي الفائر بالصور والتوقعات تدعوني لأداء الامانة))^(٥).

أعطى الروائي في هذا النص الحرية للشخصية أن تقدم نفسها للقارئ في الحوار الذي دار بينها وبين شخصية أخرى في الرواية بإستخدام أسلوب من أساليب الحوار يسمى بـ((الحوار الواسف))^(٦) وإذا كان وصف الشخصية في النص الادبي ((يأتي من خلال الحوار مع الآخر فإنه لا يتم الا عبرة قنطرة الزمان والمكان، فضلاً عن المكونات النفسية والسلوكية ، لأن بهذا الأسلوب يتمكن الراوي من سبر أغوار الشخصية والكشف عن إتجاهاتها وأزماتها الخارجية ووعيها لما حولها

(١) معجم لسان العرب، مادة (حَوَرَ) ٤٦٢/٣.

(٢) معجم القاموس المحيط، مادة (حَوَرَ) ١٥ .

(٣) <https://www.startimes.com> لغة الحوار في الرواية العربية: غالب هلسا أنموذجاً/ د. عبد الله أبو هيف.

(٤) م. ن .

(٥) الرواية ٥٧ .

(٦) قضايا السرد عند نجيب محفوظ، وليد نجار ٤٣ .

وفهمهما لأدق الامور التي تستكن في تفكيرها))^(١)، لما عمَد اليه الراوي؛ فقد أفاد الى حد بعيد في التعرف على الشخصية ومكوناتها في البعد الخارجي (الجسمي) لها، فعبد برجس على الرغم من بساطته الشديدة المنعكسة على هيئته الرثة وقدميه الحافيتين ورأسه المكشوف - وقد أكدَّ هذا الوصف لعبد برجس الاستاذ الدكتور إبراهيم العلاف الذي رآه حقيقة بلامحه هذه^(٢) فعلى الرغم من هذه الملامح للشخصية التي تعبر عن بساطة تفكيرها إلا أنه (عبد برجس) يستطيع أن يرى ما لا يراه كثيرون بحسب قول الروائي، ويستطيع أن يتنبأ بمستقبل المدينة وما يحيطها من مخاطر وأوجاع لأهلها تورقه وتحرمه من العيش براحة وسلام، وتمثل هذه الافكار والهواجس في حقيقة الأمر أفكار الروائي سالم صالح سلطان وخوفه على مدينته أم الربيعين التي يتمنى لها أن تكون كأفضل مدن العالم، فشخصية عبد برجس كما يقول عنها الروائي في مقابلة أجريت معه ((جعلته يرسم أحلاماً وريدية لمدينة الموصل))^(٣). فالاهتمام بالأبعاد الفكرية للشخصيات يتضاعف عندما تكون الرواية ذات منحنى فكري كروايتنا هذه .

فالشخصية في الحوار تتكلم ((بلغتها الخاصة عن رؤيتها للأحداث وانفعالاتها وتاريخها، في الوقت الذي يختفي فيه الراوي، بمعنى أن خطاب الراوي يتوقف، ويبدأ خطاب الشخصية))^(٤). وتلاحظ أن الروائي في رواية (سكاكر البرجس) أنه أعطى الحرية لشخصياته وأطلق لها العنان في التعبير عن نفسها وأفكارها سواء بالحديث عن نفسها بنفسها مباشرة أو في حوارها مع الآخرين، بينما إختفى هو شكلاً لا ضمناً من النص، وكان له مطلق الحرية في إثراء الرواية بالعديد من النصوص التي عبّرت عن ((مدى قدرته ومهارته وحرفيته في الكتابة الابداعية بشكل عام وكتابة الحوار بشكل خاص))^(٥).

فقد وظّف الروائي الحوار توظيفاً دقيقاً فكان معيناً له حتى يكون من وسائل نجاح الرواية فضلاً عن العناصر الأخرى؛ فلا يكون أعلى من مستوى القارئ ولا يكون (الحوار) عنصراً للضعف

(١) nayef.nawiseh.com لغة الحوار في العمل الروائي بين الإشكالية والجمالية/ موقع إقحوانة الجبل - إرادة الحياة وبناء المستقبل، نايف النوايسة .

(٢) www.youtube.com. حلقة من برنامج موصليات بعنوان (عبد البرجس): القاها أ.د. إبراهيم العلاف/ على قناة الموصلية الفضائية وهي مرفوعة على (اليوتيوب) بتاريخ ٢٠١٩/٢/٢٨ .

(٣) www.youtube.com حوار مع الروائي سالم صالح/ أجري معه من خلال برنامج (أحلى الكلام): حاوره عبد الناصر العبيدي/ لقناة نينوى الفضائية/ وحول نص المقابلة الكامل نجده مرفوعاً على اليوتيوب بتاريخ ٢٠١٨/٦/٧ .

(٤) nayef.nawiseh.com لغة الحوار في العمل الروائي بين الاشكالية والجمالية/ موقع أقحوانة الجبل- إرادة الحياة وبناء المستقبل / نايف النوايسة .

(٥) <https://www.takween.com> إشرطاطات الحوار الروائي/ د. نجم عبد الله كاظم/ أستاذ النقد والأدب المقارن والحديث/ كلية الآداب/ جامعة بغداد .

في الرواية؛ لأن الرواية تتحدث غالباً عن شخصيات بسيطة ومناطق موصلية قديمة، فيجب على الروائي ألا يكون متكلفاً في لغة حوارهِ فيأتي معه الحوار غير ملائم لطبيعة الشخصيات ولا سيما ضمن الأجواء والواقع الذي يفرضه العمل الروائي.

ويجب على الروائي أن ((يمنح الشخص خصوصية في اللغة العامية، وكل نص له لزومياته وبعض النصوص يفضل فيها اللغة العامية وبعضها الآخر اللغة الفصحى))^(١).

وهذا ما إتبعهُ الروائي في روايته؛ فقد جعل من لغة الحوار طواعية له في بيان مستوى الشخصيات؛ إذ يبدو إستخدامه اللغة الفصحى حين يتكلم (هو) عن الشخصيات أو عن المدينة ووصفها وبيان معالمها وتراثها، فكانت ((اللغة العربية معين لإبداع الروائي، ومصدر خصب لتمكينه من لغة الحوار الروائي، يغنيه بالخصوصية والمقدرة على تجاوز عجز التعبير تاريخياً وبيئياً وإجتماعياً لإرتباط اللغة المباشرة بالوعي بالتاريخ وعملياته الكثيرة))^(٢).

كيف لا! والروائي هو ابن الموصل والعالم بكل ما يتعلق بها وبتاريخها وهذا واضح من خلال ذكره للعديد من المناطق التاريخية والأثرية التي تختص بها الموصل دون سواها من المدن العراقية . وتبرز فضلاً عن إستخدام الروائي اللغة الفصحى في الرواية استخداماً واضحاً للغة العامية حتى الانكليزية حسب ما تقتضيه طبيعة النص، والثقافة الشخصية وقدرتها على التعبير عن نفسها، فنجد ألفاظاً عامية مثل: (عتيق، صاج، طشت،...) وغيرها من الألفاظ التي تختص بها مدينة الموصل من دون سواها من مدن العراق.

فمن أمثلة استخدامه اللغة الانكليزية في الرواية، هذه العبارة التي جاءت على لسان إحدى الشخصيات خلال حوارها مع أحد الجنود الاجانب الذين دخلوا المدينة فيقول له ((look ، look لقد قضيت على الارهاب))^(٣).

لذا عمد الروائي إلى توظيف عنصر الحوار في الرواية للتعبير عن الحالة الشعورية والنفسية للشخصيات، فضلاً عن التعبير عن المستويات الفكرية بأسلوب تمثيلي فضلاً عن الاعتماد على الوصف، فالحوار ((لا يكشف لنا عن طبيعة الشخصية من الناحية الاجتماعية والمادية والنفسية بقدر ما يكشف عمّا وراء هذه الأبعاد الثلاثة فمنه لا نعرف سلوك الشخصية فحسب، بل ندرك لماذا أقدمت على هذا الفعل دون سواه))^(٤).

(١) <https://www.startimes.com> لغة الحوار في الرواية العربية، غالب هلسا أنموذجاً، د. عبد الله أبو هيف.

(٢) <https://www.takween.com> إشتراطات الحوار الروائي، د. نجم عبد الله كاظم، استاذ النقد والأدب المقارن والحديث/ كلية الآداب/ جامعة بغداد .

(٣) الرواية ٦٩ .

(٤) الحوار في القصة والمسرحية والاذاعة والتلفزيون، د. طه عبد الفتاح مقلد ١٩ .

المبحث الثالث: الشخصيات

الشخصية لغَةً واصطلاحاً :

تُعد الشخصية مكوناً أساسياً وعنصراً مهماً في الرواية، وقبل البدء بالحديث عن الشخصية في رواية (سكاكر البرجس) لابد من معرفة المفهوم اللغوي والإصطلاحي لكلمة الشخصية . الشخصية لغَةً : جاء في لسان العرب لابن منظور ((الشخص سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه ، والشخص كل جسم له إرتفاع وظهور وجمعه أشخاص وشخوص وشخص يعني إرتفع والشخوص ضد الهبوط وشخص بصره أي رفعه فلم يظرف، وشخص الشيء عيّنه وميزه عما سواه))^(١).

أما الشخصية الفنية اصطلاحاً: فقد تعددت تعريفات الشخصية لأهميتها الكبيرة في الدراسات، والتطورات التي تشهدها الساحة الإبداعية الفنية والتقنية فهي بمثابة العصب للرواية، ومن المحال وجود رواية من دونها، ولقد أكد ذلك د.ه لورنس بقوله ((إنك لا تستطيع أن تخلق رواية من غير كائنات بشرية))^(٢)، فالشخصية هي الوسيلة التي يعتمد عليها الكاتب لنقل أفكاره ومواقفه وإبراز توجهه بحيث تكون معروفة لديه معرفة تامة، وتقوم أفعالها كلها على الصيغة أو الأساس الذي كاد رسمه لها وما يصدر عنها من تصرفات وسلوكيات تنعكس سلباً أو ايجاباً على أحداث الرواية فالكاتب المبدع هو الذي يستطيع بخياله أن يؤدي دوراً مهماً في رسم الشخصية وتقديمها للقارئ بوسائل مختلفة .

إذن الشخصية ((بناء يقوم النص بتشبيده أكثر مما هو معيار مفروض من خارج النص))^(٣)، وتعيش الشخصية الروائية داخل النص الروائي متأثرة بباقي الشخصيات، وتحدد طبيعتها في خلال العلاقة التي تقوم بينها؛ فقد تكون علاقة حب او كره، تعايش أو صراع .

لذا يعد رسم الشخصية في غاية الأهمية للعمل الأدبي ((لان القارئ بحاجة الى رؤية الشخصية الحية الناطقة، النابضة عروقها بالصدق والحرارة فيتحسس من خلالها روعة الحقيقة وحرارة الحياة، وإذا ما تفاعل معها، واقتنع بها تولد جو من الود والتعاطف مما يحفز القصة على النجاح))^(٤).

لذا تظهر مهمة الروائي في ((أن يختبر الحياة ويطوف بها ملاحظاً ومتفرجاً يجمع العواطف والمشاهدات والحوادث ويخترنها في حافظته وقلبه ثم يصفها على علاتها في عمله الفني))^(٥). ومما

(١) معجم لسان العرب ، مادة (شخص) ٨٥/٧ .

(٢) أشكال الرواية الحديثة، وليام أوكونور/ ترجمة: نجيب المانع ٩٦ .

(٣) سيمولوجية الشخصيات الروائية/ فيليب هامون، ترجمة: سعيد بنكراد ١٤٩ .

(٤) في النقد الأدبي الحديث، د. مجد محمد الباكير البرازي ١٤٩ .

(٥) مصادر نقد الرواية في الأدب العربي، د. احمد ابراهيم الهواري ٥٩ .

قام به الروائي سالم صالح سلطان في روايته (سكاكر البرجس) فجاءت شخصيات روايته مُجسّدة ومترجمة لأفكاره ومشاعره تجاه وطنه (العراق) وتجاه مدينته (الموصل) فاستطاع أن يعبر في خلال روايته عن معاناة اهل مدينته مشاركاً إيّاهم في الأهم ومعاناتهم ورغبتهم في العيش بسلام ومحبة وتسامح من ناحية، ويصوّر طبقات المجتمع الموصلية بفئاته كافة بوساطة الشخصيات من ناحية اخرى ليبين أنّ الجميع لا فرق بينهم وتجمعهم أرض واحدة هي ارض نينوى (الحدباء). ولهذا كان إختياره للشخصيات في الرواية اختياراً دقيقاً ومدروساً ومقصوداً، فأجاد الروائي إجادة كبيرة في تصوير شخصياته على الرغم من الاختلاف الكبير الموجود بين هذه الشخصيات في النشأة والعلم والاستعدادات النفسية؛ لذا تختلف هذه الشخصيات عن بعضها في كثير وقليل، ولكن تجمعها احياناً وحدة الحادثة التي تختلف تجاهها في المشاعر والإدراك الصحيح لما تأتي به الحياة من خير أو شر، وتجمعها طيبة القلب والسذاجة فهي شخصيات بسيطة ومتواضعة من الناحية الاجتماعية والثقافية والمادية، وكان تعامل الروائي معها تعاملاً موضوعياً فيشيد بهذه الشخصية وينتقد تلك على وفق ما يصدر عنها من سلوكيات سعياً الى الوصول بشخصياته الى الحالة المثلى التي يتمناها لأبناء مجتمعه، وقد أكّد الروائي ذلك بلسان احدي شخصيات الرواية وهو (عبد برجس) بقوله ((إنّ خلق هذا الكون - كما يظن - ينبغي ان يحبّ بعضه بعضاً))^(١).

وسنحاول في هذا المبحث إلقاء الضوء على بعض الشخصيات التي عني الروائي بها وقدمها لنا ((على وفق ما تراه العين وعلى وفق ما يرى عقلياً ، ويشمل ما تراه العين، الشكل الخارجي والاسم، فضلاً عن العمر والمهنة ويشمل ما يرى عقلياً الحالة النفسية والشعورية للشخصيات))^(٢).

لذا يمكن تقسيم الشخصيات في رواية (سكاكر البرجس) بحسب مشاركتها في أحداث الرواية

على وفق ما يأتي:

- شخصيات رئيسية
- شخصيات ثانوية
- شخصيات هامشية

١. الشخصيات الرئيسية: وهي المركز الذي تدور حوله الأحداث وهي ((التي تقود الفعل وتدفعه الى الامام وليس من الضروري أنّ تكون الشخصية الرئيسية بطل العمل دائماً ولكنها الشخصية المحورية فيه))^(٣)، مما نجده في رواية (سكاكر البرجس) اذ تبرز شخصيتان تُعدان رئيستان فضلاً عن شخصية بطل الرواية وهو (عبد برجس) - سنأتي على ذكرهما لاحقاً - اذ كان لهما تأثير كبير

(١) الرواية ٨ .

(٢) الشخصية في أدب جبرا ابراهيم جبرا الروائي: فاطمة بدر حسين، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٩٩، ٢١.

(٣) <https://www.blogs<alantologia.com> تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة (١٩٤٧-١٩٨٥)،

شربيط احمد شربيط ٢٠١٨ .

على شخصية البطل وعلى أحداث الرواية ولكنهما لم تطغيا على الشخصية الرئيسية الاولى وإنما عملا معها على إبراز صفاتها ومن ثم إبراز الفكرة الاساسية التي أراد كاتب الرواية اظهارها لنا.

فالشخصية الرئيسية الاولى في هذه الرواية هي شخصية بطل الرواية (عبد برجس) اذ تُعد أنموذجاً جسده الروائي في خلال الدور الذي لعبته هذه الشخصية ؛ فقد أعطى الروائي لهذه الشخصية الحرية الكاملة داخل النص للتعبير عن الفكرة التي أراد كاتب الرواية إيصالها للقارئ التي هي إنعكاس لأحداث ووقائع مدينته (مدينة الموصل) ورغبته في أن يجد أبناء المجتمع مجتمعين على قلب رجلٍ واحدٍ يحبُّ بعضهم البعض الاخر ولا يستطيع أحد أن يغرس جذور التفرقة الطائفية بينهم فهم أبناء شعب واحد هو الشعب الموصل وأرض واحدة وهي أرض الموصل الحدياء.

وقد نقل الروائي فكرته هذه في أكثر من نص من نصوص الرواية، ومنها قوله على لسان شخصية البطل (عبد برجس) : ((عندما أوزع السكاكر فإني أوزع الحب بينهم))^(١). وكذلك قوله في نص آخر ((إنّ البشرية بحاجة لهذه السكاكر لتسعد))^(٢).

إستطاع الروائي في هذين النصين أن يجعلنا نشاركه إحساسه الكبير والعميق تجاه الإنسان البسيط الذي يحاول إعادته ولو بشيء يسير، فيجد الروائي الحياة في شكل شخصي ولكنه ((يستطيع أن يقرن رؤياه الشخصية بالعمق في رسم العواطف والميول وإتساع الخيال في تصور المرئيات وجزئياتها وما يكمن خلف هذه الجزئيات من قوانين عامة ثم يستعين بهذا كله على إعطاء صورة صادقة لعاطفة بشرية أو شخصية انسانية أو مشهد طبيعي يمكن أن يحس به كل فرد في كل شعب))^(٣).

وينقل الروائي إحساسه الصادق - الذي تلمسناه في مواضع عديدة من الرواية - تجاه مدينته والمخاطر التي تتعرض لها والمكائد التي تُحاك ضدها على مرّ العصور ومحاولة زرع الفتن بين أبناء المدينة وجعلهم يتناحرون فيما بينهم بطريقة أو بأخرى، لكنه مع ذلك وعلى الرغم من كل ما سبق يؤكد دائماً على لسان (عبد برجس) أنّ مدينة الموصل تبقى صامدة، وأنها ((لا بوابات ولا أسوار فيها، إنها مدينة واحدة منذ أن خلقها الله))^(٤). لذاوظف الروائي هنا شخصية تراثية معروفة لدى الشارع الموصل قديماً وإستطاع أن ينقلها لنا في اطار من الحادثة في خلال روايته المعاصرة هذه ؛ فقد إستخدم الروائي هذه الشخصية التراثية (عبد برجس) في محاولة منه لنقل الفكرة أو الاحساس الذي يشعر به تجاه المدينة، فعبد برجس شخصية تشع بالحيوية والحركة ودائمة التنقل بين أحياء الموصل وشوارعها؛ لكسب الرزق وسد رمق العيش، ويقوم (عبد برجس) ببيع سكاكره لابناء المدينة جميعهم:

(١) الرواية ٣٦ .

(٢) م . ن . ٩ .

(٣) : مصادر نقد الرواية في الادب العربي الحديث ٦٠ .

(٤) الرواية ١١٦ .

المسلم، والمسيحي، واليهودي، ولا يُفرق بين احد منهم، ولا يستطيع أحد أن يمنعه من الدخول الى أي منطقة من مناطق المدينة على الرغم من المخاطر كلها التي كان يتعرض لها في أثناء تنقله في شوارع المدينة ولمدة طويلة، مما يُطابق تماماً ما يريد الروائي إيصاله للقارئ.

ولعلَّ خيط الحزن والهم الابدي الذي كان ينضح من نظرات (عبد برجس) ومن إحساسه بالفزع والقلق والتوجس وهو يركض وراء الناس ليعطيهم سكاكره اذ كان رمزاً لقلق الروائي على مستقبل المدينة وما ستؤول اليه بعد سلسلة الحروب التي شهدتها .

وتمثل النهاية المأساوية التي تعرضت لها هذه الشخصية رمزاً أيضاً للنهاية التي تعرضت لها هذه المدينة من تغيير جذري وعظيم في مجالات الحياة كلها وفي نفسيات وأخلاق الناس أيضاً والجهل الذي خيم على أبنائها بعد أن كانت منبراً للعلم يقصدها العالم من كل مكان .

وقد عبّر الروائي عن هذه النهاية المفجعة للمدينة وقَرَنَهَا بالنهاية التي تعرضت لها هذه الشخصية إثر حادث مُرَوِّعٍ ومأساويٍ أنهى حياتها وأراد الروائي بذلك أن يضع حداً للاوجاع والاهوال كلها التي تتعرض لها مدينته بهذه النهاية التي يقول فيها ((ينشر السكاكر عليهم، تتعالى الاصوات من كل الجهات حفيف لأمس أذنيه شيء صلب فجر الدم حاراً من يافوخه انساح مسرعاً، ليبل جداوله ويلطخ جبهته عند الغروب لم يكن عبد برجس منتصباً عند الجسر، بل بقعة من دم تتشكل على مكان وقوفه ثم لتختفي بعد أن شربتها الارض مع بداية الظلام))^(١).

أما الشخصية الرئيسية الثانية في هذه الرواية فضلا عن شخصية بطل الرواية (عبد برجس) والتي كان لها دور في إبراز احداث الرواية وتطور أحداثها فهي شخصية (حنوشي) - هو شخص حاقد جدا على عبد برجس - وسبب هذا الحقد الغيرة المفرطة التي يشعر بها حنوشي تجاه عبد برجس وهو يراه يبيع السكاكر للناس ويظنه يكسب مالا كثيراً ، في الوقت الذي يعيش هو في فقر مدقع وحياءً بائسة مع زوجته (العنود) التي جعلت منه شخصية ضعيفة لفقره؛ فهو بلا سلطان و بلا نفوذ وليس له القدرة على الامر والنهي في بيته فهو أشبه برئيس شرف في منزله وغالباً ما كانت تقارنه زوجته ب(عبد برجس) الذي يجني الاموال الكثيرة - كما يظنان - لقاء بيعه للسكاكر، في حين لا يكسب (حنوشي) ما يكفيه من المال ليعيش حياة طيبة وسعيدة، ويجعل زوجته تعامله معاملة جيدة ومحترمة بالرغم من كثرة الاعمال التي كان يزاولها قياساً ب(عبد برجس) .

ويصف الروائي مشاعر (حنوشي) تجاه زوجته و(عبد برجس) في نص من روايته بقوله ((اتكأ على الحائط فاجأته كآبة، هكذا هو دائماً تأتيه الأحاسيس متضادة دائماً، يظن أن سوء البخت

(١) م . ن ١٣١ .

يلزمه، كأنه مخلوق من النحس يعترف انه لم يملك ذكاء العنود ولا حيل عبد برجس، كان ذكره يزعجه ويشتت هدوءه))^(١).

نلاحظ في النص السابق أن الروائي قد أعطى أهمية لملاحح حنوشي الخارجية لأنها الوسيلة في التعرف على البعد الفكري لها؛ لأن البعد الفكري للشخصية يحمل الأهمية الكبيرة في بناء العمل الأدبي.

لقد دفعت الاسباب المذكورة انفا بحنوشي الى محاولة سرقة (عبد برجس) ليحصل على المال الذي يجعله مقبولاً لدى زوجته (العنود) خشية أن تطرده في الشارع وكانت تهدده دائماً اذا ما بقي الفقر ملازماً له وصفة ثابتة من صفاته؛ فهو لا يستطيع الاستغناء عنها فلا ملجأ ولا مأوى له إلا بيتها، ولا يريد أن يعود الى حياة التشرذم التي كان يعيشها في ظل زوجة أبيه، وقد أكد الروائي ذلك في نص طويل يقول فيه ((كركر بملئ فمه، أزاحت هذه الاماني المتكدرات التي كانت جائمة على نفسه، وبالرغم من أن العنود كانت تشعره بضآلته وتفاهة تصرفاته لكن لم يستطيع الاستغناء عنها أبداً، فعندما تطرده كان يخرج الى الأسواق والمقاهي، وينام الليل في المآرب أو في حديقة عامة، يعود بعدها وقد هزل من البرد والجوع تائباً نادماً، فتستقبله كأنه عاد من مشوار خرج إليه تواءً، أقحمته في كل الاعمال، عامل في بسطة ودلال سكراب، تنقله كقطعة شطرنج من موقع لآخر، وكلما عاد بأوراق نقدية قليلة، تصيبها بالخذلان، فكر حنوشي ماذا لو طردته بلا رجعة؟ سيتشرد حتماً، وهو الذي ذاق الهوان سنين، يأكل بقايا طعام الصمون قبل ان يغسلها، ثم تركله أقدام زوجة أبيه، مثل هرّ متشرد ينام أمام البيت))^(٢).

يصور الروائي في النص السابق لنا هذه الشخصية تصويراً دقيقاً وعرض ضروب الانفعالات للنفس الانسانية شتى، وقد كان ماهراً في تحليل كل ذلك تحليلاً صادقاً ودقيقاً الى أبعد حدود الصدق والدقة فأبرز لنا صورة تلك الشخصية المنكوبة بالحزينة واليائسة التي تألبت عليها النوب وإصطلحت عليها الأرزاء، فالروائي وهو الذي ((يمتلك رؤية نافذة لتحليل التحولات الاجتماعية في مظاهرها المادية والروحية))^(٣).

ونجد من ناحية أخرى أن ((القسط الاوفر من الحالات النفسية يرجع الى المسؤوليات الاجتماعية والأعباء العائلية الثقيلة ومشكلات الأسرة وما يعانيه الفرد في أعماق نفسه من مشكلات تتصل إتصلاً وثيقاً بحياته العائلية))^(٤).

(١) الرواية ٨٤.

(٢) م. ن ٨٥.

(٣) البناء الفني لرواية الحرب في العراق/ عبد الله ابراهيم ١٠٢.

(٤) اتجاهات القصة المصرية القصيرة/ سيد حامد النساج ١٦٣.

مما يوضح السلوك الذي يصدر عن شخصية (حنوشي) الذي منشأه ظروفه العائلية التي كان يعيشها والتي أثرت سلباً على طباعه وتصرفاته فجعلته آية من آيات القنوط، ويجيش في صدره شتى الانفعالات الثائرة وكأنه بركان يحاول الانفجار لأدنى موقف وأمام أي تصرف يثيره.

أمّا الشخصية الرئيسة الثالثة فضلاً عن شخصية (عبد برجس) وشخصية (حنوشي) فهي شخصية (العنود) زوجة (حنوشي) ، وهي امرأة تتخذ من فقرها ذريعة لأقناع نفسها بأنها مظلومة ويجب أن تكون بأفضل حال ممّا هي عليه فتقول عن نفسها ((الغيرة تأكلني، الناس تنعم بالمال، وأنا أعيش محرومة، ينبغي أن أكون من تبحث عنه السعادة))^(١) إذ دفعها هذا الاحساس الى قتل كل عاطفة لها نحو زوجها (حنوشي) فهما في حالة شجار ونزاع دائمين؛ لأنه -بنظرها- مصدر فقرها وبؤسها؛ فهي فتاة طموح وتسعى لكسب المال بأية طريقة كانت؛ وهذا ما كان يُغضب (حنوشي) منها أحياناً ويكون سبباً آخر في شجارهما الدائم؛ فهي لا تتوارى عن عمل اي شيء ولا تتورع عن ضروب من الحيل والوسائل المستهجنة لتحقيق مآربها في كسب الاموال حتى انها كانت تحتال على الناس بأن تخطف أطفالاً من أمهاتهم وتشخذ بهم في اسواق مدينة الموصل فتقول ((عندما كنت جالسة به في شارع النجفي، والطفل خائف كأرنب مذعور يلجأ الى حضني بوجل، أثار شفقة كل من رآه، يتوقف الناس عنده ويرمون عليه النقود))^(٢).

اذ كانت تقوم بأعمال أخرى مع نساء المدينة من خدمة لهنّ وأعمال فكاوية يضحكن عليها هؤلاء النسوة وكلها أعمال تصب في مسعى واحد وهو الحصول على المال الذي يغير حياتها. وتعد شخصية (العنود) كما توضح النصوص السابقة مثلاً للنسوة الجاهلات اللواتي يلجأن حتى الى السحر لو احتجنّ لتحقيق أطماعهن، وكل ما تفعله لا تخرج فيه عن طبيعتها الساذجة، والخيبة المرة التي تجعلها دائماً تعود الى أشد ما تكون ألماً ممضاً ويأساً قاتلاً حتى وإن أرادت الخروج من حالتها تلك ((كانت تفرح وتنط إلى الباب عندما تصدر جلبة في الزقاق، تخرج مسرعة تقف بين النسوة المتشاجرات، تضع اللوم على هذه لتكسب ود تلك تنشب المعركة بينهن، تتطاير صفائح التنك والاحذية، يشتبك الرجال مع بعضهم ثم تعود الى البيت تدعو على الطرفين بالهلاك))^(٣).

٢- الشخصيات الثانوية : وهي شخصيات تعد مساعدة للشخصيات الرئيسية، وتحمل أدواراً أقل فعالية، فهي التي ((تضيء الجوانب الخفية للشخصية الرئيسة تكون إما عوامل كشف عن الشخصية المركزية وتعديل لسلوكها وإما تابعة لها تدور في فلكها وتنطق بإسمها فوق أنها تلقي الضوء عليها وتكشف عن أبعادها))^(٤).

(١) الرواية ٥٠ .

(٢) م.ن ٥٦ .

(٣) الرواية ٥٠ .

(٤) <https://gobikers.cz> غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، صبيحة عودة زعرب، ٢٠٠٠ .

وقد أكد الكاتب عبد الملك مرتاض إستحالة فصل الشخصيات الرئيسية عن الشخصيات الثانوية في العمل الروائي بقوله ((لا يمكن أن تكون الشخصية المركزية في العمل الروائي إلا بفضل الشخصيات الثانوية التي ما كان لها أن تدور هي أيضاً لولا الشخصيات عديمة الاعتبار، فكما أنّ الفقراء يصنعون مجد الاغنياء فكانّ الأمر كذلك هنا))^(١).

وسنتناول هنا شخصيتين كان لهما إتصال مباشر ببطل الرواية (عبد برجس) هما (يزدان) و (مردانة) .

أمّا (يزدان) فهو الشاب الايزيدي الذي هرب من مدينته (سنجار) التي أصبحت بالنسبة له بيئة صارمة مليئة بألوان الكبت والتزمت التي جعلته يحسّ بوطأة الحياة عليه، ولا يجد فيها من المتعة ما يبعث في نفسه شيئاً من الطمأنينة والامل بغدٍ أجمل؛ مما زاد في إحساس القلق لديه نتيجة عززه عن الملاءمة بين رغبته الطبيعية في الزواج من الفتاة التي أحبها وأراد الزواج منها وبين تقاليد المجتمع وأعرافه؛ لما دفعه الى ترك مدينته التي يحبها كثيراً و يرحل بعيداً عنها الى مركز مدينة الموصل ، وفي (مركز المدينة) كان له لقاء مع (عبد برجس) الذي شاطره احساسه بالغربة والمجهول والأسى من كل شيء، كما شاطره منزله أيضاً فقد كان عبد برجس كذلك ((يعيش بروى ذاتية ونظرة خاصة راح بموجبها يمارس حياته الغريبة والشاذة بعيون الغير))^(٢).

وقد وثق الروائي هذا اللقاء بين (يزدان) و(عبد برجس) بقوله ((تألف يزدان وعبد برجس كلغزين غريبين، يزدان كتلة رقيقة وحساسة مسلوبة من مكان ملغوم بالطقوس والمعتقدات، ينبش في الاسئلة المكبوتة بأعماقه، لم يعرف الى الان سبب غضب الآلهة عليه هل لعشقه (جوانا)؟ لم يكن هذا الحب ليثلم يقينه أو يمسه بسوء))^(٣). إذ دفعت هذه الاحداث والمواقف التي تعرض لها (يزدان) في مدينته الى فقدانه الايمان بالحياة والثقة بالناس؛ فأصبحت الحياة بالنسبة له ماضٍ جميل، وحاضر يحاول التأقلم معه والرضا به ومستقبل مجهول .

وقد اظهر لديه ذلك سمة من سمات الرومانسية وهي الهروب الى الطبيعة التي تبعث لديه الاحساس بالجمال والراحة والذكريات الجميلة التي عاشها في (سنجار) - لما تسخر به هذه المدينة من طبيعة خلابة تأسر قلب كل من يراها - كما أنها مسكن من يحب فتحوّلت هذه المدينة الى مكان ((يخلق مشاعر الغربة ويبعث في النفس الحزن ويثير لواعج الذكريات والحنين))^(٤). ويصف الراوي إحساس يزدان وذكرياته بقوله: ((ويذر الحزن هشيم الذكرى، أين هو الان من قريته ومن فراشه الدافئ! في غرفته المطلة على وادٍ تتشابك فيه أشجار التين كانت إيزيس تلاعب مواطن الهوى،

(١) e-biblio—univ—mosta.dz في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، ٢٠٠٠ .

(٢) الرواية ٢٩ .

(٣) م. ن ٢٩ .

(٤) دلالة المكان في مدن الملح لعبد الرحمن منيف، محمد شوابكة، مجلة أبحاث اليرموك، مجلد ٩، العدد ٢، ١٩٩١م ٢٥ .

وتخصّب لحيته الشقراء بعشقها الذهبي عندما باغته الكواجك^(١) وكانت الطبيعة عنده تعد ملجأ يعتزل فيه عالمه ومجتمعه بشروره وقيوده فهي عنده عالم ينبض بالحياة التي تكاد تكون قد انتهت بخروجه من بلدته وفراقه لحبيته .

أمّا الشخصية الثانوية الأخرى فهي شخصية (مردانة) الفتاة التي تُعد بمثابة الإبنة عند بطل الرواية (عبد برجس)؛ فوجودها في حياته كان له تأثير إيجابي لديه؛ فهي تبعث لديه الأمل والسعادة، وهي مصدر الطيبة التي لا يجدها عند الكثيرين ممّن حوله، إذ تعيش (مردانة) بالقرب من (عبد برجس) منذ نعومة أظفارها تخدمه وتراعيه وتجعل من منزله السكن الدافئ الذي يريده أيام بقاءه في منزله وعدم خروجه للعمل، يقول الروائي عن مكانة (مردانة) عند (عبد برجس) ((كانت مردانة تجعل من يوم الجمعة يوماً طيباً في حياة عبد برجس، إنه اليوم الوحيد الذي لا يذهب فيه الى السوق يتنفس البيت سحر الانوثة، وهي تعمل كأنها في بيتها، ولم يكن والداها ليمنعانها من خدمة السيّد فقد حبت خطواتها الاولى على عتبة داره تلتغ بعبرة (بابا الشيد))^(٢).

لذا تمتلك شخصية (مردانة) إحساساً مُرهفاً، وعلى قدر عالٍ من الايثار؛ فهي تحاول أن تسعد كل من حولها، ولم تكن تهتم لنفسها قدر إهتمامها بالآخرين، وقد كانت ((تجد في خدمتها لبيت (عبد برجس) راحة وتعويضاً عما فاتها وتشعر بحاجة اليها))^(٣).

وكان (عبد برجس) يحنّ عليها ويحبها كأبنة له؛ فكان ((يسبغ عليها أبوة حانية وهو يشعر بسنوات شبابها تتعاقب مسرعة وهي مُقتنعة في حياتها لإعالة والديها الكبيرين))^(٤). لقد آثرت التخلي عن فكرة الزواج - بالرغم من تقدم كثيرين لخطبتها - رغبةً منها ومحبةً لوالديها الكبيرين في السن، تسهر على راحتها وتخدمها بكل حبٍ وتقانٍ تدفعها طيبة قلبها، ورغبتها الصادقة بنيل رضاها وهذا ما أكدته بقولها ((إن نظرة إمتنانٍ من أمي المشلولة، وأبي العاجز، تفتح أمامي سنوات متجددة من العمر لن أطالها بكل السعادات المزيفة))^(٥).

لذا لا يقل دور الشخصيات الثانوية في الرواية كثيراً عن أهمية دور الشخصيات الرئيسية، بل إنها تساعد الشخصيات الرئيسية في أداء مهامها في النص وإبراز أحداث الرواية والمساهمة معها في إيصال الفكرة أو المغزى منها .

(١) الرواية ٣٤.

(٢) الرواية ٦٥.

(٣) م.م ن ٦٦.

(٤) م.م ن ٦٥.

(٥) م.م ن ١٠٤.

٣- الشخصيات الهامشية: يمكن تعريف الشخصية الهامشية بأنها: ((كائن ليس فعلاً في المواقف والاحداث والمرويات))^(١). ولا يقل دور هذه الشخصيات في هذا العمل الفني إلى حجم الدور الذي تشغله الشخصيات الرئيسية، وفي الوقت نفسه لا يمكن ان تخلو قصة أو رواية ما من الشخصيات الهامشية أو ما يسمى بلغة التمثيل (الكومبارس)، فهذه الشخصيات في غاية الضرورة لإنارة الشخصية الرئيسية في الرواية أو القصة أو المسرحية .

وفي بعض الاعمال الادبية تأتي هذه الشخصيات لإنشغال مكان أو لسد فراغ داخل النص؛ فهي قليلة الظهور ويقتصر ظهورها على نص او نصين أحياناً وتتلاشى سريعاً من دون الاحساس بها.

وقد حُفِلت هذه الرواية بعدد من الشخصيات الهامشية سنحاول الوقوف عند البعض منها مع ذكر النصوص الروائية التي تعزز ذكرها .

ومن هذه الشخصيات (بائع التوابيت) الذي يحتفظ بطل الرواية (عبد برجس) بأكياس سكاكره عنده، وقد دار حوار بينهما في موضوع واحد على مدار الرواية يقولان فيه: ((- ينبغي أن يمتلك كل واحد منا تابوتاً في بيته .

ضحك صاحب المحل

- ليتهم يضعون الراديو معي

نظر إليه عبد برجس :

- كلة زائل ويبقى وجه الله))^(٢).

يقول متي في نص آخر جمع بين (صاحب النعوش) وبين (متي أبو الصمون) - صديق عبد برجس: ((عندما تعمل في السوق عليك أن تجعل أعصابك من فولاذ . قال ابو النعوش :

-اما انا فقليل من يساومني لانهم على عجلة من امرهم))^(٣).

نجد في هذين النصين أنّ الشخصيات الواردة فيهما قد ذكرها الروائي للتعريف ببعض المهّن المتداولة في مدينة الموصل فقط فلم يكن لها تأثير يُذكر في سير الاحداث فيما بعد، بل ظلت ملازمة لحالة واحدة حتى نهاية الرواية، ويكون الحدث أو الفكرة في بعض القصص أو الروايات محوراً للعمل لذا تبرز الحاجة لوجود شخصيات تُغني هذا الحدث أو تُلقي الأضواء على الفكرة تظهرها وتجسدها وتحركها جاعلة منها كائناً من لحم ودم .

(١) <https://waqfeya.com> الادب وفنونه دراسة ونقد، عز الدين إسماعيل ٢٠١٣ .

(٢) الرواية ١٥ .

(٣) م . ن ٨٣ .

ومثال على ذلك الشخصان اللذان قابلهما (عبد جرجس) في أثناء تجواله في مدينة الموصل بعد التغيير الذي طالها جراء الاحداث التي عصفت بالمدينة من معارك متوالية ومن تغييرات معمارية فيما تلا هذه المعارك فاقت قدرة عبد جرجس على إستيعابها وتصورها، فكان يبدو معها وكأنه غريب عن المدينة وعن عالمها، فكان ظهور هذان الشخصان لتوضيح فكرة التغيير والتحول الذي شهدته المدينة على مر السنين فقال أحدهما عندما مرَّ بعبد جرجس ولاحظا هيئته التي لا تتناسب مع هذا التغيير الذي شمل كل شيء حتى ملامح الناس وملابسهم مما دفعهما الى السخرية منه ومن شكله وتصرفاته في نص وحيد من الرواية، فقال احدهما للآخر :

((انه من ارشيف الحضارات القديمة .

سأله صاحبه:

-وما الذي جاء به ؟

-ربما نساؤه الزمان، تضاحكا وسارا جنباً الى جنب))^(١).

الخاتمة:

لقد خلّص هذا البحث الى جملة من النتائج التي تم رصدها بحسب مواقع الحديث عن الموضوعات التي تناولتها الرواية، ويمكن أن نُجمل هذه النتائج بالنقاط الآتية :

١. وصف الروائي المكان الداخلي والمكان الخارجي في الرواية وصفاً ينبع من رؤية الشخصية له؛ فجاء وصف بعض الامكنة على أنها أمكنة معادية للشخصية للحالة النفسية لها والنابعة من بعض المواقف التي تعرضت لها في تلك الأمكنة، وجاء وصف المكان الأليف لدى بعض الشخصيات بإعتباره الموطن الاصلي لها، فهي تحن وتتوق للعودة اليه، وكان لوصف الطبيعة العائدة لبعض الامكنة الدور الفعّال في إبراز وتحليل الحالة النفسية للشخصيات القاطنة لتلك الأمكنة .

٢. جعل الروائي من روايته عالماً حياً وإنسانياً، وقد أثرى لغته الأم (الفصحى) فكانت هي الغالبة على الرواية، فسعى الى التقنن في الجانب اللغوي ، والعناية بتنحيف العبارات التي تُظهر براعته الأسلوبية، ويتداخل أسلوبه بالعامي والمأثور اليومي في حوار الشخصيات مع بعضها البعض كونها شخصيات بسيطة ومحدودة الثقافة، فضلاً عن بعض الألفاظ الاجنبية وفي مواضع محدودة جداً من الرواية .

٣. إحتلت الشخصيات الرئيسية في الرواية مكانة كبيرة وبارزة وتحمل في مكنوناتها دلالات تهدف الى تصوير المجتمع الموصل الذي كان ولا يزال يعاني من مظاهر القمع والاضطهاد ، أمّا

(١) الرواية ١٢٤.

الشخصيات الثانوية فقد كانت مساعدة للشخصيات الرئيسية في خلق الصراع داخل الرواية وإثارة الحيوية وتصعيد الحدث، وكانت مختلفة في سلوكها فبعضها كانت إيجابية والبعض الآخر سلبية، وللشخصيات الهامشية حضورها الواضح والذي أفاد منه الروائي في بيان وتعريف القارئ ببعض المهن التي يزاولها أبناء مدينة الموصل .

٤. نجح الروائي في إبراز نماذج روائية مختلفة عبّرت عن طبيعة المجتمع الموصل كنموذج شخصية عبد برجس ذات الملامح الشعبية البسيطة التي تعيش هموماً مشتركة؛ مما ينبع من إلتزامات الروائي الفكرية والاجتماعية وإنحيازه للفقراء من أبناء مجتمعه، فإستطاع أن يقترب من همومهم ومعاناتهم وينقلها بأسلوب المزوجة بين الماضي والحاضر .

مكتبة البحث

اولاً: المصادر

- رواية سكاكر البرجس/ سالم صالح سلطان/ مؤسسة الواحة للنشر والتوزيع/ العراق الموصل/ ٢٠٠٧ .

ثانياً : المراجع

١. إتجاهات القصة المصرية القصيرة/ سيد حامد النساج/ دار المعارف/ القاهرة/ ١٩٧٨ .
٢. البناء الفني في الرواية العربية في العراق (الوصف وبناء المكان)/ د. شجاع مسلم العاني/ دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد/ ٢٠٠٠ .
٣. البناء الفني لرواية الحرب في العراق دراسة لأساليب السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة/ عبد الله ابراهيم/ دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد/ ١٩٨٨ .
٤. الحوار في القصة والمسرحية والاذاعة والتلفزيون/ د. طه عبد الفتاح مقلد/ مكتبة الشباب/ القاهرة/ ١٩٧٥ .
٥. أشكال الرواية الحديثة- مجموعة مقالات/ وليام فان أوكونور/ ت: نجيب المانع/ منشورات وزارة الثقافة والاعلام سلسلة الكتب المترجمة/ بغداد/ (د. ت) .
٦. سيميولوجية الشخصيات الروائية/ فيليب هامون/ تقديم/ عبد الفتاح كيليطو/ دار الحوار للنشر والتوزيع/ سورية/ ٢٠١٣ .
٧. ضحك كالبكاء/ ادريس الناقوري/ دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد/ ١٩٨٦ .
٨. في النقد الأدبي الحديث/ مجد محمد الباكير البرازي/ مكتبة الرسالة الحديثة/ عمان/ الاردن/ ١٩٨٦ .
٩. قضايا الرواية الحديثة/ جان ريكاردو/ ت: صياح الجهيم/ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي/ دمشق/ ١٩٧٧ .
١٠. قضايا السرد عند نجيب محفوظ/ وليد نجار/ دار الكتاب اللبناني/ بيروت/ ١٩٨٥ .
١١. مصادر نقد الرواية في الادب العربي الحديث/ د. أحمد إبراهيم الهواري/ عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية الطبعة الاولى / القاهرة / ٢٠٠٨ .
١٢. معجم القاموس المحيط/ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي/ تحقيق محمد نعيم العرقسوسي/ مؤسسة الرسالة/ الطبعة الخامسة / بيروت / ١٩٩٦ .

١٣. معجم لسان العرب/ أبو الفضل جمال الدين بن منظور/ بيروت/ دار صادر/ ١٩٩٠ .

ثالثاً : البحوث المنشورة:

١. الإحالة الرمزية في رواية سكاكر البرجس للقاص سالم صالح سلطان/ علي أحمد محمد العبيدي/ مجلة دراسات موصلية/ مركز دراسات الموصل/ جامعة الموصل/ العدد ٤٧ لسنة ٢٠١٨م.
٢. دلالة المكان في مدن الملح لعبد الرحمن منيف/ محمد شوابكة/ مجلة أبحاث اليرموك/ مجلد ٩/ العدد ٢ لسنة ١٩٩١ .

رابعاً : الرسائل الجامعية

- الشخصية في أدب جبرا إبراهيم جبرا الروائي/ فاطمة بدر حسين/ رسالة ماجستير/ كلية التربية للبنات / جامعة بغداد/ ١٩٩٩ .

خامساً: المواقع الالكترونية على الانترنت

١. <https://www.blogs<alantologia.com> تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة (١٩٤٧-١٩٨٥)/ شريط أحمد شريط/ منشورات اتحاد الكتاب العرب/ ٢٠١٨ .
٢. www.e-biblio.univ-mosta.dz بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي/ المركز الثقافي العربي/ الدار البيضاء/ المغرب/ ط٣/ ٢٠٠٠ .
٣. <https://gobikers.cz> غسان كنفاني: جماليات السرد في الخطاب الروائي/ د. صبيحة عودة زعر/ ٢٠٠٦ .
٤. nayef.nawiseh.com لغة الحوار في العمل الروائي بين الاشكالية والجمالية/ موقع أفاقانة الجبل - إرادة الحياة وبناء المستقبل - / نايف النوايسة .
٥. <https://www.startimes.com> لغة الحوار في الرواية العربية/ غالب هلسا أنموذجاً/ د. عبد الله أبو هيف.
٦. www.takween.com إشرطاطات الحوار الروائي/ د. نجم عبد الله كاظم/ أستاذ النقد الأدبي المقارن والحديث/ كلية الآداب/ جامعة بغداد .
٧. <https://waqfeya.com> الأدب وفنونه دراسة ونقد/ عز الدين إسماعيل/ ٢٠١٣ .

٨. www.youtube.com. حلقة من برنامج موصليات بعنوان (عبد البرجس) ألقاها الاستاذ الدكتور إبراهيم العلاف/ على قناة الموصلية الفضائية وهي مرفوعة على (اليوتيوب) بتاريخ ٢٠١٩/٢/٢٨ .

٩. www.youtube.com حوار مع الروائي سالم صالح/ أُجري معه في خلال برنامج (أعلى الكلام) حاوره عبد الناصر العبيدي/ لقناة نينوى الفضائية/ ونجد نص المقابلة الكامل مرفوعاً على اليوتيوب بتاريخ ٢٠١٨/٦/٧ .